النزاع الاقليمي في مرآة الوفاق الدولي

الدكتور أسعد عبد الرحمن

لو كان « تشارلز ديكنز » ــ الروائي البريطاني المعروف ــ ما يزال حيا لربما ردد عن هذا العصر ، عصر « الوفاق الدولي » ، عبارته الشهيرة « هذا افضل الاوقات، هذا اسوأ الاوقات » التي سبق له وان قالها قبل قرابة المئتي عام(١). وبقدر ما تصيب هذه العبارة كبد الحقيقة ، اذا ما سيقت في معرض وصف كنه عصر « الوفاق الدولي » ، فانها أيضا تلخص ، بايجاز بليغ ، السبب الابرز في الجدل ، المستمر الصاخب المتناقض، الدائر حول ما يسميه البعض « نعمة » الوفاق الدولي وما يعتبره البعض الاخر « نقمة » الصيغة الجديدة المهيمنة على شبكة العلاقات الدولية .

الوفاق في زوبعة الاهواء السياسية الذاتية :

وما كان لهذا الجدل ان يضير احدا لو انه بقي في اطار المناقشة النظرية الفلسفية وضمن خط الرياضة الفكرية الثقافية أو لو انه اقتصر على الحوار السياسي الهادىء البعيد عن التزوير . الا أن تجاوز ذلك كله عن طريق « لوي ذراع » الحقائق ونزع صفتي الموضوعية « والبراءة » ــ اذا ما جاز التعبير ــ عن مسار البحث والمقصد الخاصين بالحوار ، أدى الى حالة من التشويش الفكري لم يعد معه التحاور القائم جاريا من أجل خدمة هدف بناء ، بقدر ما اصبح سلاحا غير نظيف تشهره بعض الاطراف المتنازعة ضمن نطاق « الحرب الباردة » الجارية في منطقتنا وخارجها من جهة ، وسلاحا موظفا في خدمة الابتذال السياسي الشائع في فكر وممارسة الكثيرين هذه الايام ، من جهة ثانية .

فقد فسر البعض ما أصبح يعرف بظاهرة « الوفاق الدولي » على انها « مؤامرة » تم ، وفقا لها ، اقتسام العالم ضمن تنازلات متبادلة (محددة ، سرية وحاسمة) بين الدولتين الاعظم . كما أصر بعض من هذا البعض على ضم الصين الشعبية طرفا أصيلا ، أساسيا او ثانويا ، في ذلك الاتفاق ــ المؤامرة . ومنهم من صور الظاهرة على انها « ثلاجة العملاقين » التي تم فيها حفظ كافة النزاعات المحلية الاقليمية بحيث أصبح مستحيلا معه على الدول الصغيرة « تسخين » صراعاتها وحسم تناقضاتها .

واذا ما انتقلنا من العام الى الخاص ، وجدنا ان الاسواق السياسية الشرق اوسطية طفحت ، ربما أكثر من غيرها في مناطق العالم الاخرى ، بالذرائع التي تم « تعليبها » خصيصا في « مصانع » الاعلام الرسمي لاكثر من دولة عربية . وقد صبت جميع هذه الذرائع في مجرى واحد مؤداه ان الاتحاد السوفياتي ــ وهو الخاضع الراكع

---

* هذا هو الجزء الاول من دراسة مطولة استهدفت فحص حقيقة معادلة الوفاق الدولي تمهيدا لجزء ثان يرسم صورة النزاع الشرق اوسطي كما انعكس على مرآة الوفاق اثناء حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ مع اهتمام خاص بالظاهرة « الكيسنجرية » وحركتها في المنطقة خلال الحرب وبعدها .